البَابُ الثَّالِثُ

اللقاء التاريخي بين الشيخ والأمير وتأسيس الدولة في الدرعية

اللقاء التاريخي

خرج الدين ، يطلب سيفاً يحميه .
وانطلق السيف، ينشد ديناً يهديه .
وتلاقيا ، عام « ١١٥٧ » ، في «الدرعية» !

قال الدين للسيف : أعطيك الملك والنصر !
وقال السيف للدين : أعطيك الجهاد والصبر !
.. وكان العهد المسؤول !
.. وكان الجهاد الموصول !
.. وكان المجد المأمول !

تلك قصة اللقاء التاريخي :
بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،
وبين الأمير محمد بن سعود .

.. ففي هذا اللقاء :
وضع ميثاق الدرعية،
وولدت الدولة السعودية ،
وبدأ تاريخ نجد الحديث ،
.. بل تاريخ الجزيرة العربية !

الفصل الأول

اللقاء التاريخي
بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود
وميثاق الدرعية

رواية ابن بشر

يصف لنا « ابن بشر » قدمة الشيخ الى الدرعية وصفاً شعرياً ، يجنح الأخيلة ، فيقول إن أمير العيينة ، بعد أن طلب من الشيخ الخروج من بلده ، أمر فارساً عنده ، يقال له « الفريد » ، مع خيالة معه منهم طوال الحمراني ، وقال :

اركب جوادك وسر بهذا الرجل الى ما يريد !

فقال الشيخ : أريد الدرعية .

فركب الفارس جواده، والشيخ يمشي راجلاً أمامه ، وليس معه إلا المروحة، وذلك في غاية الحر في فصل الصيف .

فقال ابن معمر لفارسه ، إذا أنت وصلت إلى أخيه يعقوب ، فاقتله عنده !

– وكان يعقوب هذا رجلاً صالحاً ، قُتِلَ ظلماً بين الدرعية والعيينة ، وجُعِلَ

في غار جبلٍ هناك ، على قارعة الطريق ، ونسب الشيخ الى اخوته لأجل الصلاح — فسار الفارس ، والشيخ أمامه ، وهو لا يلتفت ، ويلهج بقوله تعالى :

« ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله الا الله ، والله أكبر !

والفارس لم يكلمه ، فلما همّ بقتله ، كفّ الله عنه يده وأبطل كيده وقذف الله سبحانه في قلبه الرعب حتى ما استطاع أن يمشي قدماً، فحرف جواده وانصرف الى العينة ، وقال لعثمان : إنه أصابني رعب عظيم حتى خفت على نفسي !

وأما الشيخ فإنه صار الى الدرعية ، فوصل إلى أعلاها وقت العصر ، فقصد الى بيت محمد بن سويلم العريني ، فلما دخل عليه ضاقت عليه داره وخاف على نفسه من ابن سعود ، فوعظه الشيخ وأسكن جاشه ، وقال : سيجعل الله لنا ولك فرجاً ومخرجاً .

فعلم به خصائص من أهل الدرعية فزاروه خفية ، فقرّر لهم التوحيد واستقر في قلوبهم ، فأرادوا أن يخبروا محمد بن سعود ويشيروا عليه بنصرته فهابوه ، فأتوا الى زوجته موضى بنت « ابي وهطان من آل كثير »(١) ، وكانت ذات عقل ومعرفة ، فأخبروها بمكان الشيخ وصفة ما يأمر به وينهى عنه ، فوقر في قلبها معرفة التوحيد وقذف الله في قلبها محبة الشيخ، فلما دخل عليها زوجها محمد ، أخبرته بمكانه، وقالت ان هذا الرجل أتى اليك ، وهو غنيمة ساقها الله لك فأكرمه وعظمه واغتنم نصرته !

فقبل قولها ، وألقى الله سبحانه في قلبه للشيخ المحبة ، فأراد أن يرسل اليه ، فقالوا : سر إليه برجلك في مكانه ، وأظهر تعظيمه والاحتفال به ، لعل الناس أن يكرموه !

فسار إليه محمد فدخل عليه في بيت ابن سويلم ، وقال :

« ابشر ببلاد خير من بلادك ، وابشر بالعز والنعمة » .

فقال الشيخ :

---

(١) في الأصل بياض . والزيادة من كتاب « الحيدري » : عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد .

وأنا أبشرك بالعز والتمكين . وهذه كلمة « لا إله إلا الله » ، من تمسك بها وعمل بها ونصرها ، ملك بها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد وأول ما دعت اليه الرسل من أولهم الى آخرهم .

ثم أخبره الشيخ بما كان عليه رسول الله (ص). وما دعا إليه وما عليه أصحابه رضي الله عنهم من بعده ، وما أمروا به وما نهوا عنه وأن كل بدعة بعدهم ضلالة ، وما أعزهم الله به بالجهاد في سبيل الله، وأغنام به وجعلهم إخواناً ، ثم أخبره بما عليه أهل نجد اليوم من مخالفتهم ،بالشرك بالله تعالى،والبدع والإختلاف والجور والظلم .

فلما تحقق،(محمد) معرفة التوحيد، وعلم ما فيه من المصالح الدينية والدنيوية، قال له :

– يا شيخ ! إن هذا دين الله ورسوله ، الذي لا شك فيه . وابشر بالنصرة لك ولما أمرت به ، والجهاد لمن خالف التوحيد !

ولكن أريد أن أشترط عليك اثنتين :

١ – نحن اذا قمنا في نصرتك والجهاد في سبيل الله ، وفتح الله لنا ولك البلدان ، أخاف أن ترحل عنا وتستبدل بنا غيرنا !

٢ – والثانية أن لي على الدرعية قانوناً آخذه منهم ، في وقت الثمار ، وأخاف أن تقول : لا تأخذ منهم شيئاً !

فقال الشيخ :

أما الأولى ، فابسط يدك . الدم بالدم والهدم بالهدم [١] .

(١) « جاء في لسان العرب » : « وفي الحديث أن أبا الهيثم بن التيهان ، قال لرسول الله (ص) :

ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها ، فنخشى ان الله أعزك واظهرك ان ترجع الى قومك .. فتبسم النبي (ص) . ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم . انا منكم وانتم مني !

فالهدم القبر ، يعني اقبر حيث تقبرون ، وقيل هو المنزل اي منزلكم منزلي .

والهدم بالسكون وبالفتح ايضاً هو اهدار دم القتيل ، والمعنى : ان طلب دمكم فقد طلب دمي ، وان هدر دمكم فقد اهدر دمي !

عن ابن الاعرابي : العرب تقول : دمي دمك وهدمي هدمك ، وهذا في النصرة والظلم .

قال ابن الازهري : ومن رواه الدم الدم والهدم الهدم ، فهو على قول الحليف ، تطلب بدمي وانا اطلب بدمك ، وما هدمت ، اي عفوت عنه واهدرته ، فقد عفوت عنه وتركته !

أما الثانية ، فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها .

« فوقع تحقيق ظنه رحمه الله تعالى ، فإنه اتى إليه غنيمة عظيمة ، فقال له الشيخ : هذا أكثر مما أنت أخذته على أهل بلدك ! فتركها بعد ذلك » .

ثم إن محمداً بسط يده، وبايع الشيخ على دين الله ورسوله والجهاد في سبيل الله وإقامة شرائع الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فقام الشيخ ودخل معه البلد واستقر عنده !

نقد رواية ابن بشر

تلك قصة اللقاء التاريخي بين الشيخ والأمير ، كما قصها ابن بشر ، وهي لوحة فنية معبرة ، تستحق البقاء والخلود ، وقد تناقلها الناس في الشرق والغرب، لروعتها وبراعتها .

وفي رأينا ، أن هذه القصة ، على براعتها وحسنها ، تريد نسج هالة « أسطورية » حول اسم الشيخ ، ليس الشيخ محتاجاً إليها ، لأنه صنع لمجد الإسلام ولمجد العرب ما يغنيه عن « الأساطير » والروايات الموضوعة !

أسطورة « الفريد » .. وخوف ابن سويلم !

وأول ما يؤخذ على رواية ابن بشر أنه جعل الشيخ يخرج من العيينة ، في فصل الصيف ، وفي غاية الحر وماشياً على قدميه ..

وعلى هذ الصورة أيضاً أخرجه ابن بشر ، قبل ذلك ، من البصرة !..

ثم هو اصحبه بفارس همّ بقتله مراراً ، تنفيذاً لأوامر سيده ابن معمر ، ولكن الله سبحانه القى في قلب الفارس الرعب وصرف عن الشيخ كيده ..

وأخيراً يدخل« ابن بشر » الشيخَ في مدينة الدرعية،على حين غفلةٍ من أميرها، وينزله في دار رجل من أنصاره ، امتلأ قلبه رعباً من قدومه عليه ، لما يخشاه من غضب الأمير .. ولولا « وساطة » زوجة الأمير .. لما صلحت الأحوال .. ولما

استطاع أن يقرّر للأمير التوحيد .. ويجعله من أشد أنصاره !

كل أولئك مبالغ فيه إن لم نقل : غير صحيح !

وفي اعتقادنا أن الشيخ ، لم يخرج من العيينة ، الا بعد أن دعته الدرعية اليها ، ولم تكن الدرعية غريبة عـــن دعوة الشيخ ، فقد كان الشيخ قبـــل التجائه الى الدرعية ، على صلة وثيقة بعدد غير قليل من كبار رجالها ، يكتب إليهم ويكتبون إليه ويفدون عليه ، بل دخل بعضهم في دعوته وأصبحوا من أشد أنصاره ، كالأميرين ثنيان ومشاري من إخوة الأمير محمد بن سعود ، وأولاد سويلم ، وغيرهم ، وقد نستطيع أن نضم الى جدول أصدقاء الشيخ اسم مطوع الدرعيـــة نفسه ، وولده – وإن تقلبت ببعضهم الأحوال – ، وقد نستطيع أيضاً أن نضم إلى أنصار الشيخ الفتى عبد العزيز ، ابن أمـير الدرعية ، الذي كتب الشيخ ، من أجـله واستجابةً لطلبه ، تفسيراً لسورة الفاتحة ، شرح له من خلاله عقيدة التوحيد ؛ وكذلك زوجة الأمير محمد !

فهل كان الأمير محمد بن سعود ، يجهل كل ذلك ؟ ولو أنه كان – كما زعموا – عدواً للشيخ ولدعوته .. فهل كان يترك ولده عبد العزيز يراسل الشيخ ؟

ان المنطق يدعونا إلى الشك في أقوال ابن بشر !

ويزيدنا تشكيكاً في روايته ، ما قرأناه في كتاب المؤرخ الافرنسي الكبير « مانجان » ، الذي استقى معلوماته من آل الشيخ وآل سعود ، الذين كانوا منفيين في مصر ، فقد نقل عنهم أن أنصار الشيخ في الدرعية ، لما عرفوا حرج موقف الشيخ في العيينة وتنكر أميرها له ، أبلغوا أمير الدرعيـــة ذلك ، فأرسل الى الشيخ مع بعضهم رسالة قد تكون « رسالة شفوية » ، يدعوه فيها للمجيء الى الدرعية ، ويعده الحماية والمنعة .

ويضيف المؤرخ الإفرنسي الى ذلك :

« إن الأمير محمد أبلغ سلفـــاً باليوم الذي سيقدم فيه الشيخ على الدرعية ، فأرسل إليه عدداً من الفرسان ، لاستقباله ومواكبته على مسافة طويلة من البلدة » .

ويقول « هوتسما » ، إن الشيخ صحب معه الى الدرعية عائلته وأمواله ، وكانت

شيئاً عظيماً .

ويقول مؤلف « لمع الشهاب » ، وهو مصدر هوتسما وغيره ، «إن الشيخ خرج من العيينة بعياله وخدامه وأمواله ، وإن أخاه هو الذي طلب منه الخروج ، فقال الشيخ إنه لا يخرج إلا بأمان ، له ولعياله ولأمواله ، فأعطوه ذلك» « فهيأ نفسه وعياله ومن يتبعه للخروج ، فخرجوا ذلك اليوم ، قبيل غروب الشمس ، فأتوا .. قرية محمد بن سعود .. ولما وصلوا قريباً منها بنصف ساعة، أخبر به محمد بن سعود، فخرج يتلقاه ، هو وابنه عبد العزيز و كثير من أهل بيته وأهل بلده ، بالقبول والإكرام ، فأنزله أعلى مقام ، وأخلى بيته لأجله » .

قد تكون رواية اللمع غير صحيحة ، في بعض تفاصيلها ، ولكنها في جملتها أدنى الى المنطق من رواية ابن بشر ..

أما أمير العيينة ، عثمان بن معمر ، الذي جاء الى الدرعية ، بعد مدة قصيرة من هجرة الشيخ اليها يطلب منه الرجوع الى العيينة ، فهل يعقل أن يأتي اليه ويطلب منه هذا الطلب .. لو أنه كان أمر فارسه بقتله ، كما زعم ذلك ابن بشر ؟

يقول صاحب اللمع ، في إحدى رواياته ، إن عثمان بن معمر طلب من الشيخ الخروج من العيينة لمدة سنة أو سنتين ، ثم يعود ، متى خف غضب أمير الأحساء . وهذا ما وقع فعلاً ، فقد جاء ابن معمر الى الدرعية وطلب من الشيخ العودة الى العيينة .

اننا لا نجد عند ابن غنام هذه المخاطر والأهوال التي أحاط بها ابن بشر خروج الشيخ من العيينة ومسيره الى الدرعية ، فابن غنام يقول لنا ببساطة ان الشيخ نزل في أوائل الدرعية في بيت تلميذه ابن سويلم ، فلما سمع به الأمير محمد بن سعود قام من فوره مسرعاً اليه ، وسلم عليه ، وأبدى له غاية الاكرام ، ووعده الحماية والمنعة ، وطلب منه العهد والميثاق « أن يبقى في الدرعية ولا يرحل منها الى غيرها من البلدان » .

لا شك عندنا في أن رواية ابن غنام أقرب إلى الحقيقة من رواية ابن بشر ، ولكنها ، مع الأسف ، بسيطة جداً ومختصرة جداً ، ونكاد نقول : باردة .. وهذا

اللقاء التاريخي بين الشيخ والأمير ، يستحق وصفاً حاراً شعرياً، ووصف ابن بشر، وان أنكرنا بعض تفاصيله ، أحب الى قلوبنا من وصف ابن غنام ..

ولعل عذره .. أن قصته تتكلم بلسان الحال ، ان لم تكن بلسان المقال .

رواية شاذة .. عن فتور اللقاء الأول

وجاء في مخطوطة « الدولة السعودية الأولى » ، لصلاح العقاد :

« هناك كتاب مخطوط ، في دار الكتب الوطنيـــة بباريس ، لا عنوان له ، تحت رقم : « ١٠٦٦ » ، ولا يعرف مؤلفه ، ذكر فيه، أن لقاء ابن سعود للشيخ أول الأمر كان فاترا .» .

وصف اللقاء في رواية اللمع

يقول صاحب « لمع الشهاب » :

« .. لما اجتمع الأمير بالشيخ ، قال له :

هذه القرية قريتك ، والمكان أنت واليه ، فلا تخش أعداءك .

والله لو انطبقت علينا جميع نجد ما أخرجناك عنا » .

فقال الشيخ للأمير :

أنت كبيرهم وشريفهم ،أريد منك عهداً على أنك تجاهد في هذا الدين، والرئاسة والامارة فيك وفي ذريتك بعدك ، وان المشيخة والخلافة في الدين فيّ وفي آلي من بعدي أبداً ، بحيث لا ينعقد أمر ولا يقع صلح ولا حرب الا ما نراه كذلك ، فان قبلت هذا فأخبرك أن الله يطلعك على أمور لم يدركها أحد من عظماء الملوك والسلاطين ، وتكون عاقبة أمورك محمودة عند الله ، لأنك اتبعت الدين ونصرته، ولم تقصر رتبتك عن رتبة الصحابة والخلفاء الذين نصروا رسول الله (ص) . وأي منزلة أعلى من هذه المنزلة ؟

فقال محمد بن سعود : قبلت وبايعتك على ذلك .

فتبايعا ، واشترط كل منهما على صاحبه » .

ويضيف صاحب اللمع الى ذلك ، في مكان آخر من كتابه ، ان مبايعة محمد ابن سعود الشيخ على اقامة الشرع وترويج الدعوة ، ومبايعة الشيخ للأمير على الزعامة والملك ، قد أكّدت « بالحلف والعهود والمواثيق ، واتخذ على ذلك شهود .. فصفا الأمر بينهما باطناً وظاهراً » .

وفي اعتقادنا أن الشيخ لم يشترط لنفسه ولا لعقبه شيئاً من المناصب ، وان كانت رئاسة الشؤون الدينية ، كالفتوى والقضاء والتدريس ونحوها ، لا منصب الامامة ، كانت بيد الشيخ في حياته ، ثم صارت الى أولاده بعد موته ، غير ان ذلك لم يكن بفضل الشروط والمعاهدات .. وانما وقع التسليم به بطبائع الأشياء ، لمكانة الشيخ وخلفائه من بعده في نفوس القوم ، ولقوتهم وأمانتهم وعلمهم وصلاحهم .

الفصل الثّاني

الدرعيّة في عهدها الجديد

الدرعية قبل هجرة الشيخ اليها

كانت الدرعية ، قبل وصول الشيخ اليها ، بلدة صغيرة ، ويقال ان عدد بيوتها ما كان يتجاوز السبعين ، وكان رئيسها محمد بن سعود يديرها على أسلوب عشائري ابتدائي ، ويأخذ من أهلها ضريبة كانوا يسمونها : « القانون » أو الأخاوة أو « الخوة » – ولعلها تحريف للأخوة – وذلك لقاء حمايته لهم واقامته الأمن والعدل بينهم ..

وكان أهل الدرعية حنابلة ، ولكن اسماً لا حقيقة ، وكان لهم «مطوع» ، ولكنه لم يكن مطوعاً يدعو الى الدين الصحيح ، وانما كان ، كسائر المطوعين في نجد ، منغمساً في البدع ، يكتب للناس الحجب والطلاسم ، ويتقبل منهم النذور لغير الله ، وكان الناس يؤمنون بقدرة أوليائهم المحليين على جلب الخير اليهم ودفع الضرر عنهم ، وكانوا يعتقدون مثل ذلك ببعض الأشجار والأحجار .

قال ابن غنام: « ويكثر ذلك منهم عند قبر زيد بن الخطاب ، فيدعونه لتفريج الكرب .. وكان ذلك في الجبيلة مشهوراً ..

وكذلك « قريوة » ، في الدرعية ، يزعمون ان فيها قبوراً أصبح فيها بعض الصحابة مقبوراً ، فصار حظهم في عبادتها موفوراً ، فهم في سائر الأحوال عليها يعكفون .. وكان أهل تلك التربة أعظم في صدورهم من الله خوفاً ورهبة .

وفي أسفل الدرعية غار كبير .. يزعمون ان الله تعالى خلقه في الجبل لامرأة تسمى : « بنت الأمير » ، أراد بعض الفسقة أن يظلمها فصاحت ودعت ، فانفلق لها الغار .. فكانوا يرسلون اليه اللحم والخبز .

وعندهم رجل من الأولياء يسمى « تاج » .. صرفوا اليه النذور والدعاء ، واعتقدوا فيه النفع والضر .. ويأتي اليهم من بلدة الخرج الى الدرعية ، لتحصيل ما له من النذور .. ويزعمون انه أعمى ، وانه يأتي من بلدة الخرج من غير قائد يقوده .. »

الدرعية بعد هجرة الشيخ

سنة هجرة الشيخ

يختلف المؤرخان ابن غنام وابن بشر في تحديد السنة التي هاجر فيها الشيخ الى الدرعية ، فابن غنام يقول إنها كانت عـــام ١١٥٧ وابن بشر يجعلها عام ١١٥٨ ، ونحن نرجح رواية ابن غنام ، لأنه يؤيدها بقوله إن الشيخ بقي في الدرعية سنتين يدعو الى الدين بالنصح والوعظ ، سلما .. ثم بدأ الجهاد بعد انقضاء السنتين ، وكان هذا عام ١١٥٩ .

أصحاب السابقة من الأنصار

يذكر ابن غنـــام أسماء طائفة من أصحاب الشيخ الذين آزروه في الدرعية مؤازرة صادقة وأعانوه في نشر دعوته وقاموا بذلك أحسن قيام،منذ الأيام الأوائل وهم : اخوة محمد بن سعود الثلاثة (ثنيان ومشاري وفرحان) ، والشيخ أحمد بن سويلم والشيخ عيسى بن قاسم ومحمد الحزيمي وعبد الله بن دغيثر وسليمان الوشيقري ومحمد بن حسين وأخوه ، وغيرهم .

هجرة الانصار

ولما استقر الشيخ في الدرعية وجهر بالدعوة ، أخذ كثير من انصاره وتلامذته،

(٧)

في مختلف بلدان نجـد ، يقدمون عليه ويهاجرون اليه ، وكان في مقدمتهم جماعة من رجال العيينة .

ولما رأى ذلك عثمان بن معمر ، أمير العيينة ، جاء بنفسه الى الشيخ ، وألح عليه في العودة الى العيينة وبايعه على السمع والطاعة ، ووعده المنعــة والنصرة ، ولكن الشيخ آثر البقاء في الدرعية ، لما مضى من عهده لمحمد بن سعود .

وفي ابن بشر أن الشيخ قال لعثمان : « ليس هـــذا الي ، انما هو الى محمد بن سعود ، فان أراد أن أذهب معك ذهبت ، وان أراد أن أقـيم عنده أقمت ، ولا أستبدل برجل تلقاني بالقبول غيره الا أن يأذن لي .

فأتى عثمان الى محمد ، فأبى عليه ، ولم يجد الى مـــا أتى اليه سبيلاً ، فرجع الى بلاده » .

وكان الشيخ ينفق ، مـــا استطاع ، على المهاجرين من أنصاره ، وكان عددهم يتكاثر يوماً بعد يوم ، وكانوا في كثرتهم فقراء ، وكان أهل الدرعية أنفسهم يومئذ في ضيق يقرب من الفقر فما يستطيعون مساعدتهم ، لذلك كان المهاجرون ، كما يقول ابن بشر : « في أضيق عيش وأشد حاجة ، وابتلوا بلاء شديداً ، فكانوا في الليل يأخذون الأجرة ويحترفون ، وفي النهـــار يجلسون عند الشيخ في درس الحديث والمذاكرة » .

بناء مسجد كبير وفرشه بالحصا

ويقول صاحب « اللمع » :

«قال محمد بن عبد الوهاب لعبد العزيز : ابنوا لنا مسجداً كبيراً ، ليحضر جميع رجال القرية فيه عند كل صلاة .

فأمر محمد بن سعود ببنائه ، وهمّ أهل الوادي بالبناء حتى تمّ .

فقال الشيخ : ينبغي أن لا يفرش في هذا المسجد الا الحصيات ، لأن مسجد الرسول (ص) . كان كذلك » .

الصلاة في المساجد الزامية

فأخذ يأمر الناس بالذهاب الى المسجد للصلاة جماعة ، وكان يقول :
« كل من لا يحضر الصلاة ، مع قدرته عليها ، عزرناه » .

دروس للرجال والنساء

ثم انه وضع درس التوحيد في المسجد صباحاً ومساء ، كل يوم .
وكان يأمر النساء والصبيان بحضور الدرس ليستمعوا قواعد التوحيد منه .
وقد نقل الينا أن رجلاً من اهل الوادي ، ما كان يحضر الدرس ، فامر محمد بن عبد الوهاب باحضاره ، فقال له : لم لا تحضر مع الجماعة للدرس ؟
فاخذ الرجل يتعذر ، فقال محمد بن عبد الوهاب : لا بد لقبول توبتك من أن تحلق لحيتك أو تغرم مائة ذهب .
وكان الرجل متوسط الحال فرضي باداء المال ، لأن حلق اللحية أقبح ما يكون شرعاً وعرفاً عربياً .

التوحيد وثلاثة الاصول

ويقول ابن بشر إن الشيخ بدأ بتعلم الناس التوحيد ، فأمرهم بتعليم معنى « لا اله الا الله » وأنها نفي وأثبات ، « فلا اله » تنفي جميع المعبودات .
و « الا الله » ، تثبت العبادة لله وحده ، لا شريك له .
ثم أمرهم بتعلم ثلاثة الأصول ..
فلما استقر في قلوبهم معرفة التوحيد .. أشربت قلوبهم محبة الشيخ ، وأحبوا المهاجرين وآووهم .

اجماع أهل الدرعية

استطاع الشيخ خلال سنة واحدة أن يدخل أهل الدرعيه كلهم في الدين الحق

ويعلمهم جوهو التوحيد ، ويقول مؤلف « اللمع » في ذلك : « كان الشيخ يجلس للدرس .. ومضى على هـذه الحالة سنة ، يرغب أهـل الوادي في ذلك المذهب ، ويحرضهم على الصبر على عداوة من يخالفه ، فلما تمت السنة صار أهل الوادي كلهم ، كبيرهم وصغيرهم ، ذكرهم وأنثاهم ، على دينه وتحت طاعته ، الا أربعة رجال .. فانهم خرجوا بأهاليهم .. فسكنوا بلداً في الوشم يقال لها ثرمداء » .

مكاتبة أهل البلدان

وأرسل الشيخ كتباً إلى العلماء والمطوعين في بلدان نجد ، وكانت رسائله « أو نشراته وبياناته بلغـة اليوم » ، تصـل الى مختلف المدن والقرى ويتداولها الناس ، فيرضى عنها فريق ويسخط عليها فريق ، شأن كل دعوة اصلاحية .

الشيخ يخترع أسلحة نارية

ومن أعجب ما يرويه صاحب « اللمع » أن الشيخ اخترع أسلحة نارية حديثة ، قال :

« كان محمد بن عبد الوهاب .. عاقـلا مدبراً متأملا في الأشياء ، عارفاً بجميع العلوم ومن جملة نكته التي تشعر بتدبير الحروب أنـه كان يأمر أهـل الدرعية بتعلم رمي البندق ، وهو الذي استخرج لهم هذه البنادق التي عندهم ، وكانوا قبل ذلك ، في نجد، لهم « تفقان » دون هذه ، على طور ما لأهل اليمن .» .

اكرام محمد بن سعود وأولاده للشيخ

ويشير صاحب اللمع الى اكرام الأمير للشيخ ، فيقول : « كانت العادة جارية بأن محمد بن سعود يزور الشيخ كل يوم مرتـين ، صباحاً ومساء ، هو وابنه عبد العزيز وبقية أولاده ، وكانوا يجلسون عنده متأدبين صامتين ، لا ينطقون بشي ما لم يحادثهم بـه أولا ، ويدرسون على يده علم التوحيد الذي صنفه ، لكن يدرسهم درساً خاصاً في مجلس على حدة » .

وصف التغيرات المدهشة التي طرأت على الدرعية

تغيرت الدرعية بعد هجرة الشيخ اليها تغييراً كاملاً ، وقد نستطيع تلخيص مظاهر هذا التغير بما يأتي :

أولاً — ابطِلَ الاسلوب « العشائري » الذي كان يُحكم به الناس ، وحل محله حكمٌ نظامي ، مدني ، دستوره الإسلام .

ثانياً — أبطلت الإخاوة ، أو « القانون » ، وأصبحت موارد الدولة هي الموارد الشرعية من الزكاة والغنائم ، ونحوها من الموارد التي أحلها الله .

وكان الناس يسمون رجال الأمير الذين يأخذون منهم الأموال مكاساً وعشاراً ، ولما دخلت الدرعية في الدعوة صار الأمير يرسل « العمال » لقبض الزكاة وخرص الثمار .

ثالثاً — أقيم قضاة لفصل الخصومات بين الناس بالحق ، ولم تعد القوة حكماً في الخلافات التي تقوم بين الناس ، وبذلك تنعّم الجمهور بنعمة الأمن والاستقرار والعدل ، وكان محروماً منها ، لأن القوي كان يعتدي على الضعيف ويأخذ منه ما أراد ، فلا يجد من يشكو إليه ليرد عليه حقه .

رابعاً — نشطت حركة التعليم نشاطاً عظيماً ، وتولى الشيخ بنفسه مهمة التدريس والإشراف على المدرسين في الدرعية ، وفي سائر البلدان التي تنضم إلى الدعوة ، فأصبحت الدرعية « مدينة جامعية » ، يتوافد إليها الطلاب من كل مكان ، ويجتمع

إليها العلماء من مختلف البلدان .

قال الفقي: « كان من أهم ما خدم به الشيخ ابن عبدالوهاب الناس،أن رفع عن قلوبهم غشاوة الجهل .. فحارب الأمية بكل ما استطاع من قوة ، وكان يلزم كل واحد من أتباعه تعلم القراءة والكتابة مها كانت سنه ، ومهما كانت منزلته ، حتى كان الأمراء يقرأون مثل بقية الناس ، فصار منهم العلماء المدرسون ، كالإمام سعود الكبير » .

وكان تعليمه إياهم بتعليم كتابة القرآن وحفظه ، كما يصنع مع صبية المكاتب، ثم وضع الرسائل السهلة العبارة ، القريبة إلى عقول البسطاء ، في بيان التوحيد .

وكان يلزم الناس أن يحفظوا القرآن ، ثم يطالعوا هذه الرسائل ويحفظوها ، فكان ذلك من أقوى الأسباب لانتشار هذه الدعوة وسرعة انتقالها إلى ما وصلت اليه من بقاع الأرض .

وذلك طبعاً كان يستند إلى سيف آل سعود ونصرتهم .

خامساً — حمل الناس على تنفيذ أوامر الدين والانتهاء عن نواهيه ، وكانوا يُكرهون بالقوة على حضور الصلوات في الجوامع .

ويقول ابن بشر : « اجتمع الناس على الصلوات والدروس والسؤال عن أصل الاسلام وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها ومعاني قراءتها ، وتعلمها الصغير والكبير ، والقارىء والأمي ، بعد أن كان لا يعرفها إلا الخصائص» .

وانتفع بعلمه أهل الآفاق ، لأنهم يسألون عما يأمر به وينهى عنه ، فيقال لهم : يأمر بالتوحيد وينهى عن المنكر ، ويقال لهم : إن أهل نجد يقتونكم لذلك. فانتهى أناس كثير من أهل الآفاق بسبب ما سمعوا من أوامره ونواهيه ؛ وهدم المسلمون ببركة علمه جميع القباب والمشاهد التي بنيت على القبور وغيرها من جميع المواضع الشركية،في أقاصي الأقطار من الحرمين واليمن وتهامة والأحساء ونجد وغير ذلك، حتى لا تجد في جميع من شملته ولاية المسلمين الشرك الأصغر فضلاً عن غيره ، حاشا الرياء ، الذي قال فيه النبي (ص) « إنه أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل »

وأمر جميع أهل البلدان من أهل النواحي ، يسألون الناس في المساجد كل يوم، بعد صلاة الصبح وبين العشاءين عن معرفة ثلاثة أصول ، وهي : معرفة الله ، ومعرفة دين الإسلام، ومعرفة أركانه ، وما ورد عليها من الأدلة من القرآن، ومعرفة محمد (ص) . ونسبه ومبعثه وهجرته وأول ما دعا إليه ، وهي : « لا إله إلا الله » ومعرفة معناها ، والبعث بعد الموت ، وشروط الصلاة ، وأركانها وواجباتها وفروض الوضوء ونواقضه ، وما يتبع ذلك من تحقيق التوحيد ، في أنواع العبادة التي لا تنبغي إلا لله ، كالدعاء والذبح والنذر والخوف والرجاء والخشية والرغبة والرهبة والتوكل والإنابة ، وغير ذلك .

سادساً – حل الجهاد لإعلاء كلمة الدين ، محل الغارات العشائرية القديمة ، التي كان يقصد منها مجرد السلب والنهب والعدوان .

ويقول هوتسما : « إن الشيخ كان يشرف على تعليم الناس فن استعمال الأسلحة النارية » .

ويقول ابن بشر : « ان الشيخ كان يجهز الجيوش ويبعث السرايا ، فلم يزل مجاهداً حتى أذعن أهل نجد وتابعوا » .

سابعاً – أصبحت الدرعية مركزاً للدعوة، ينطلق منه الدعاة، وترسل الكتب، وتأتي إليه الوفود والضيوف ، وكان الشيخ يقوم باستقبال الوافدين وإكرامهم ، وقد يتحمل الشيخ من ماله الخاص ، أو يستدين أحياناً ، للانفاق على ضيوف الدرعية .

وقد جاء الى الدرعية عدد غير قليل من أنصار الشيخ وتلامذته ، الذين لم يستطيعوا البقاء في بلدانهم لظلم متغلبتها ، أو طلباً للعلم عند الشيخ ، فكانوا ، أول الأمر ، في غاية الضيق ، وكانوا يعملون ليلاً [1] ويدرسون نهاراً ، ثم وسع الله عليهم في الرزق ، بما يأخذونه من الغنائم ، وقد دفع عبد العزيز مرة غنائم احدى

---

(١) ابن بشر

المعارك كلها — بعد أن تخلى المقاتلون عـــن حقهم فيها — إلى الشيخ ، لينفقها على طلابه المحتاجين .

لم تكن الدرعية مركزاً للدعوة فحسب ، ولكنها كانت كذلك قاعدة الدولة، فأخذت تتسع في رقعتها ، وفي عمرانها ، وفي عدد سكانها، وبدأت تظهر عليها دلائل الرخاء ، وأصبحت « مدينة » ، بعد أن كانت « قرية » .